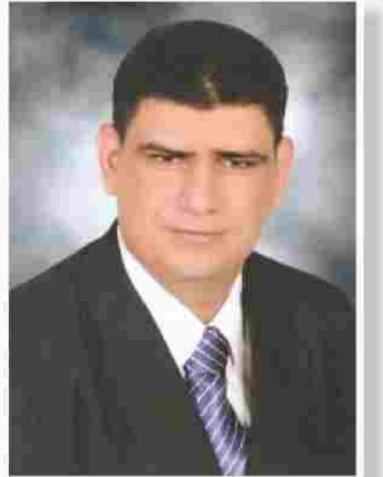




التاريخ الأوروبي وتاريخ أوروبا



د. علي عفيفي علي غازي

أكاديمي وصحفي

للهولة الأولى يشعر القارئ بأن المصطلحان عنوان هذا المقال يتشابهان إلى حد كبير، بحيث يصعب التمييز بينهما. وربما يكون ذلك حقيقة، ولكن هذه محاولة بقدر الاستطاعة لكي نميز بين دالتيهما، لتحقيق فهم أعمق لـ "التاريخ الأوروبي" بصفته فرع من فروع التاريخ.

وبدأ ذي بدء، لا بد أن نوضح أن الآراء قد اختلفت وتعددت حول ماهية التاريخ وأهميته، واهتم المؤرخون بذلك الأمر، ودليلنا على ذلك قيام عدد كبير من المؤرخين بتناول تفسير التاريخ من حيث معناه وأهميته وتفسير حركته ومسيرته، وذلك من جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وغيرها. واختلف المؤرخون العرب أيضاً في تفسير التاريخ، فمنهم من ذكر أنه سجل لكل ما تركه الإنسان من آثار نتيجة لتفاعله مع البيئة المحيطة به، مشتملاً على كافة نواحي الحياة، وقصر بعضهم معنى التاريخ على "بحث واستقصاء حوادث الماضي".

وقد طرح سؤال حول ماهية التاريخ الأوروبي على مجموعة من المؤرخين والأساتذة في الجامعات الأوروبية والأمريكية، واختلفت الإجابات فكل مؤرخ يعرض إجابته وفقاً لوجهة نظره الخاصة، ووفقاً لبعض الظروف التي إن وجدت استطاع أن يجيب عن هذا التساؤل، ولهذا وجدت مجموعة من الآراء تمثل رأي المؤرخ وفكره.

وقيل أن نوضح الفروق بين التاريخ الأوروبي وتاريخ أوروبا، يستوجب الأمر أن نشير إلى أن أي حادثة تاريخية تقوم على ثلاثة دعائم هي: الزمان والإنسان والمكان، ولا يمكن تصور ظاهرة تاريخية خارج حدود هذه الدعائم الثلاثة، فالزمان هو الذي يجعل للحادثة التاريخية صفتها التاريخية، ومن المستحيل تماماً تصور أي حادثة تاريخية خارج نطاق الزمن، والزمن الذي نعنيه

هو الزمن الإنساني أي عمر الجنس البشري فوق كوكب الأرض، ذلك لأن الفعل التاريخي في حقيقته فعل إنساني وقع داخل حدود الزمن الإنساني، وارتباط التاريخ بالزمن يتضح من خلال الحقيقة القائلة: إن الماضي الحضاري لبني الإنسان على سطح الأرض هو موضوع علم التاريخ.

أما المكان أو البيئة فهي الركن الثاني من أركان الظاهرة أو الحدث التاريخي؛ لأن البيئة هي مسرح العملية التاريخية؛ فلا نستطيع تصور وجود الفعل التاريخي في فراغ بعيداً عن المكان أو البيئة، فالتفاعل بين الإنسان والبيئة في إطار الطرف الزماني هو الذي يُنتج لنا الظاهرة التاريخية في أي عصر من العصور، ذلك لأن الإنسان هو منفذ العملية التاريخية ما دام ميدان التاريخ ومجال بحثه هو ماضي النشاط البشري، فالارتباط بين الإنسان بوصفه فاعلاً تاريخياً؛ والتاريخ الذي يهتم بدراسة الفعل الإنساني ومحاولة تفسيره يبدو في غاية الوضوح، وليس بوسعنا أن نتصور وجود ظاهرة تاريخية لا ترتبط بالإنسان؛ فذلك لن يكون تاريخاً بالمعنى المقصود، وإنما سيكون نوعاً من التاريخ الطبيعي الذي يختلف تمام الاختلاف عن التاريخ كعلم الإنسان؛ فالتاريخ يميل إلى حفظ كل ما له قيمة بالنسبة لبني الإنسان ويترك ما عدا ذلك للفناء والهلاك.

وعلى هذا فإن الحدث التاريخي يتكون من ثلاث عناصر رئيسية هي وجود الإنسان في مكان ما، وزمان معين، وهذه العناصر الثلاث الإنسان والزمان والمكان تتفاعل مع بعضها البعض فتنتج الحادثة التاريخية، وهذا الحدث يحتاج إلى منهج وكذلك مؤرخ لكي يصبح مادة تاريخية مكتوبة خاضعة للنقد والتحقيق. ولا بد أن يكون هناك منطقة يستمد منها الحدث التاريخي ماهيته، أو يحدث على أرضها، فالحدث التاريخي بدون تحديد منطقة

لحدوثه يفقد تفاعله مع الإنسان، ولهذا كانت الاختلافات في تحديد خريطة أوروبا عبر العصور المختلفة عائقاً أمام تحديد التاريخ الأوروبي، لأن أوروبا لم يكن لها شكل واحد، فهي كمساحة جغرافية لم تكن بشكل ثابت على مر العصور، فهي مرة تتوسع، وأخرى تتضاءل.

والتاريخ الأوروبي هو تاريخ الأوروبيين على الأرض الأوروبية وفي كل قارة نزلوا فيها، وفي كل بقعة من الأرض استعمروها، وفي أي مكان تواجدوا به، فلا يمكن فهم تاريخ أي دولة أوروبية سواء فرنسا أو بريطانيا أو غيرها من الدول بمعزل عن التاريخ الأوروبي وتاريخها الاستعماري خارج أوروبا؛ فضلاً عن تاريخ العلاقات الدولية، على أساس العلاقات بين أوروبا والدول الأخرى في جميع نواحي الحياة. وعلى هذا النحو فإن التاريخ الأوروبي هو تاريخ الأوروبيين داخل أوروبا وكذلك تاريخهم خارجها إلى حيث يصنع الأوروبيون التغيير في الحياة اليومية، بمعنى أنهم إذا وجدوا في أي بلد آخر فإنهم يعدون جزءاً من التاريخ الأوروبي أيضاً. وعلى ذلك فإن التاريخ الأوروبي أعم وأشمل من تاريخ أوروبا.

وأصحاب هذا التفسير يبنون رؤيتهم على أساس أن الفرد يمارس ثقافته في أي مكان ينزل فيه، ويستوطنه، وينقل معه عاداته وتقاليد، وفكره، ومن نتاج هذا التفاعل تبرز الحضارة، فالإنسان عندما ينتقل من مكان لآخر فهو ينقل ثقافته معه، وعلى هذا يكون التاريخ الأوروبي هو تاريخ الأوروبيين أينما كانوا وأينما حلوا، والمؤثرات التي أثرت فيهم، ودورهم في التأثير في الآخر.

فتجد أن الإنسان عند وجوده في أي مجتمع فإنه يؤثر في هذا المجتمع ويتأثر به، فمثلاً الاحتلال الفرنسي للجزائر ترك بصمته الواضحة عليها، فقد أثر فيها وتأثر بها، ولذا فنحن نجد الآن أن الشعب الجزائري يتحدث الفرنسية بطلاقة، وكذلك نجد أنه عند ذهاب أي شخص إلى بلد ما فإنه يحاول التكيف معها ومع عاداتها وتقاليدها بما لا يتعارض مع مفاهيمه وديانته، فالإنسان يؤثر ويتأثر بالمجتمع الذي يعيش فيه، وبالبيئة التي تحيط به.

أما تاريخ أوروبا فيقصد به تاريخ الأرض (القارة الأوروبية) والبشر الذين يعيشون عليها فقط، والتفاعلات التي جرت عليها؛ دون النظر إلى امتدادهم خارج الأراضي الأوروبية، أي أنه نتاج تفاعل الناس في أوروبا مع الأرض الأوروبية في الزمان، فهو بذلك محدد جغرافياً وبشرياً. فيقصر المؤرخون تاريخ أوروبا على تلك المنطقة من الكرة الأرضية التي تضم دول المجموعة الأوروبية،

أي حادثة تاريخية تقوم على ثلاث دعائم هي: الزمان والإنسان والمكان، ولا يمكن تصور ظاهرة تاريخية خارج حدود هذه الدعائم الثلاثة

والتاريخ الأوروبي هو تاريخ الأوروبيين على الأرض الأوروبية وفي كل قارة نزلوا فيها، وفي كل بقعة من الأرض استعمروها، وفي أي مكان تواجدوا به، فلا يمكن فهم تاريخ أي دولة أوروبية سواء فرنسا أو بريطانيا أو غيرها من الدول بمعزل عن التاريخ الأوروبي وتاريخها الاستعماري خارج أوروبا



المسافات لم يشغلها وميض الفرح

علي سليمان الدبعي - اليمن - تعز

كم مرة وهبتك الرياح
أريج شداها من زهرة الأبقوان
أنتاك التي عصرتها سكرًا
وسافرت بها مع الذكريات

وقالوا : أنت كطرفة

تحمل رسالة موتك

فلم تستجب ولم تلتفت لنصل السهام

وسفك دمانك لأجل ماذا؟

لأجلها أم لكبرياء جنونك؟

إذا أنت قتيل جنونك

شاهد الهيام

وفي شهقة موتك

حمامم روحك توزع الأغنيات

وتنبت على مشارف قبرك

زهرة أبقوان

تسافر وأنت لم تبارح ذلك
تسافر وأنت الذي من لهيب الفراق اكتويت
وتأبى البقاء على شرفة الوقت المريح
(فؤادك لن تستقر به الأغنيات)

تستظل بحر التردد

وينهش فيك الندم

ويهتف فيك النداء البعيد

تحاول أن تحرق الضوء

وتحرق خطاك الطريق

وتبقى كما أنت رهين الشتات

ليكبر فيك الضياع

وتخبو جذوة الأمنيات

أيا دنيا ما بيننا؟

سوى ساعة الاحتضار لعمر الحياة

موصد بالضرع

والمسافات لم يشغلها وميض الفرح

وانجلترا وهولندا وإيطاليا، وأشاروا إليها في عهد بطرس الأكبر (1689-1725) "أوروبات" ويظهر من اللفظ إدراكهم للتنوع والاختلاف، وحاول المفكرون الروس الإبتعاد بروسيا عن الإطار الأوروبي، والاتجاهات الفكرية الأوروبية.

وجهود المفكرين الروس للإبتعاد عن الإطار الأوروبي بأفكاره وافتراضاته الفكرية تأثرت بنفس الاتجاهات الفكرية الأوروبية التي يرغبون في الإبتعاد أو الانفصال عنها، ولهذا لم ينظر الروس إلى أنفسهم على أنهم جزء من أوروبا، ولم ينظر الأوروبيون إلى الروس على أنهم جزء من أوروبا، وكانت منطقة البلقان والبحر المتوسط في النصف الثاني من القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر تمثل أطراف أوروبا.

والتاريخ الأوروبي يحتوي على ثلاث معطيات تتمثل في تحديد أوروبا من الناحية الجغرافية بحدود القارات الحالية، وأن كل دولة معاصرة لها تاريخ، وأن التاريخ الأوروبي جوهر هذه التواريخ القومية، وتواريخ الدول الصغيرة.

وعلى ذلك يمكن تحديد أوروبا من الناحية الجغرافية باستخدام الحدود الحالية للقارات، وهذه النظرة تقترض أن كل دولة معاصرة في أوروبا لها تاريخ، والتاريخ الأوروبي هو جوهر هذه التواريخ القومية للدول الصغيرة، كذلك فالتاريخ الأوروبي هو تاريخ ارتقاء أو تدهور العالم الغربي، وذلك يعني أن أوروبا في وقت اتساعها وقوتها وضمها لبلاد مختلفة تختلف عن أوروبا الضعيفة التي فقدت مستعمراتها.

ويمكن تحديد أوروبا من الناحية الثقافية على أنها تقليد حضاري، والتاريخ الأوروبي هنا هو تاريخ ارتقاء أو تدهور العالم الغربي، وهنا نجد ترابط بين النواحي الثقافية والحضارية، وذلك على أساس أن النواحي الثقافية تتعلق بالأشخاص وكيف يفكرون، وكيف يتعاملون مع الآخرين، أما الحضارة فهي المنتج الذي يفرزه هذا التفاعل.

ونستخلص مما سبق أن مفهوم التاريخ الأوروبي قد اختلف من حقبة زمنية إلى أخرى، فأوروبا العصور الوسطى تختلف عن أوروبا الحديثة، حيث تغيرت معالمها بتغير مستعمراتها في الخارج، حيث أثرت فيها وتأثرت بها، وتختلف عن أوروبا المعاصرة بعد انهيار أيديولوجياتها الإستعمارية في الخارج، وتقلص مساحتها لتقتصر على القارة الأوروبية الصغيرة، وعلى هذا فإننا نرى أن حدود القارة الأوروبية المتغيرة قد أثرت في تفسير مفهوم التاريخ الأوروبي، وأثرت في تغيره من مدة زمنية إلى أخرى.

ونخلص من هذا أنه لا يمكن دراسة تاريخ أي دولة أو منطقة بمعزل عن تاريخ أوروبا، وعلى هذا فإن التاريخ الأوروبي هو تاريخ الأوروبيين في أي مكان سواء في القارة الأوروبية أم في أمريكا أو أفريقيا أو آسيا.

ولم تكن المصادر الروسية حتى نهاية القرن السادس عشر تعرف أوروبا، ولم تنشر إلى أوروبا باسمها، وكانت تعرفها بالبيزنطيين نسبة إلى بيزنطة، ولم يقيم البيزنطيون باطلاق هذا المسمى عليهم، وإنما أسماهم به من جاء بعدهم، وكانت الحدود بين الروس وجيرانهم حدود دينية وضعوها حاجزاً بينهم وبين جيرانهم من هراطقة في الغرب، ووثنيين في الشرق

وعلاقتها مع غيرها، فنجد أن التاريخ الأوروبي لم يكن سوى تاريخ يرى فقط بأعين أوروبا وبرؤية أوروبية للتاريخ، وخدمته كل القيم التي استخدمت كأساس للحكم، وهي مجد الدولة، والدين الشامل، وفكرة التقدم التي ارتبطت بأوروبا في إشارة إلى تفوقها وسيادتها.

ومن هنا ارتبطت فكرة التاريخ بالمؤسسات الاجتماعية التي وقع عليها حكم المجتمع مثل الكنيسة والدولة والحزب السياسي، فالتاريخ هنا يخدم قضية أو مشاريع أولئك الذين يمثلهم، في محاولة لمقارنة ماضي وحاضر الدول الأوروبية مع المجتمعات الأخرى.

ويرى آخرون أنه ليس هناك تاريخ أوروبي واحد وإنما تواريخ كثيرة كل منها يتعلق بمشكلة محددة أو سياق محدد ولذلك يجب التمييز بينه من النواحي الجغرافية والزمانية، فمثلاً المؤرخين البريطانيين يرون أن التاريخ الأوروبي هو تاريخ القارة الأوروبية فقط ولا يشمل بريطانيا الجزيرة المنعزلة عنها جغرافياً، أما مؤرخي القارة الآخرين فيرون أن التاريخ الأوروبي يشمل بريطانيا العظمى التي لم تكن تغيب عنها الشمس أيضاً. وينظر هؤلاء إلى الولايات المتحدة على أنها مجرد امتداد للتاريخ الأوروبي.

أما المؤرخون الروس فقد كانت أوروبا هي المعيار الذي قيم به الروس أنفسهم، وكان واجباً على المؤرخ الروسي أن يدرس ويفهم الظروف الأوروبية وثيقة الصلة بروسيا في وقت معين، فيما يتعلق بقضية معينة، وهذه الرؤية توضح أن الشيء ذو الأهمية لروسيا ليس بالضرورة أن يشكل أهمية بالنسبة لأوروبا.

ولم تكن المصادر الروسية حتى نهاية القرن السادس عشر تعرف أوروبا، ولم تنشر إلى أوروبا باسمها، وكانت تعرفها بالبيزنطيين نسبة إلى بيزنطة، ولم يقيم البيزنطيون باطلاق هذا المسمى عليهم، وإنما أسماهم به من جاء بعدهم، وكانت الحدود بين الروس وجيرانهم حدود دينية وضعوها حاجزاً بينهم وبين جيرانهم من هراطقة في الغرب، ووثنيين في الشرق، إلا أن هذه النظرة قد تغيرت منذ منتصف القرن السابع عشر حيث أقامت موسكو علاقات تجارية ودبلوماسية وثقافية قوية مع الدول الأوروبية، وبصفة خاصة مع بولندا وألمانيا والسويد

ويقصدون بتاريخها تاريخ التجمعات الإنسانية التي تعيش عليها وتعمرها، ونتائجها الثقافي والفكري والأثري. ولكن أصحاب هذا الاتجاه وجدوا أنفسهم في حيرة حول المعنى الحقيقي للمنطقة المسماة أوروبا، لذلك اختلف المؤرخون حول المعنى الحقيقي لتاريخ أوروبا، فبعضهم اعتمد على عامل الزمان، بينما ركز بعضهم على عامل المكان، وبما أن التاريخ الأوروبي هو في مجمله تاريخ، فإنه لا بد أن يكون نتيجة لتفاعل الإنسان مع المكان في وجود عامل الزمان.

وفيما يخص عامل الزمان، فإن القارة الأوروبية قد اختلفت من قرن إلى آخر، فالهند كانت مستعمرة بريطانية خاضعة للتاج البريطاني، كذلك الأمريكتين كانت مستعمرة لعدد من الدول الأوروبية، لكن حينما نالت أمريكا استقلالها فإن مساحة أوروبا قد تقلصت عن الأحقاب السابقة.

أما عن عامل المكان، فقد اختلف معنى التاريخ الأوروبي تبعاً لإختلاف المكان، فنجد أن حدود القارة الأوروبية متغيرة، فهي لا تشمل الدول الداخلية في القارة فقط، وإنما تشمل على مستعمراتها الأوروبية في الخارج مثل الهند التي كانت مستعمرة بريطانية خاضعة للتاج البريطاني، وبالتالي تأثرت الدول الأوروبية بالدول التي قامت باستعمارها، فنجد أنها تأثرت ثقافياً وحضارياً بتلك الدول فنقلت حضارتهم إليها مثل حضارات الفينيقيين والعبرانيين والمصريين الفرعانة وغيرهم.

كذلك نجد أنه مع زيادة عدد البلدان التي تحررت من الاستعمار، والتي بدأت تبحث عن أصولها وجذورها، بدأت تنهار فكرة تاريخها الأوروبي والتي لم تكن سوى جزء من أوروبا، وبأعين الأوروبيين، وذلك يعني أن الدول التي كانت تابعة لأوروبا، والتي كانت تشكل التاريخ الأوروبي في وقت معين حين استقلت عن أوروبا، أعيد تشكيل خريطة أوروبا من جديد، وتاريخ أوروبي جديد، ليس به تلك المستعمرات، وهو ما يوضح أن التاريخ الأوروبي اختلف من حقبة تاريخية إلى أخرى تبعاً لعامل المكان أو تبعاً للمساحة التي كان ينظر إليها على أنها جزء من القارة الأوروبية.

وذهب البعض إلى أن التاريخ الأوروبي ممكن أن يتطابق مع تاريخ أوروبا الذي هو تاريخ الشعوب الأوروبية وثقافتها والأراضي التي يحتلونها، واختلف البعض مع هذا الرأي فيرون أنه إن كان هناك تشابه أو تطابق بين اللفظين، فإن هناك اختلافاً كبيراً في مفردات كل من التاريخ الأوروبي وتاريخ أوروبا على أساس أن تاريخ أوروبا هو تاريخ القارة الأوروبية جغرافياً والبشر الذين يعيشون عليها، أما التاريخ الأوروبي فهو تاريخ الأوروبيين سواء كانوا على أرض أوروبا أم لا متضمناً الشعوب والأراضي التي بقيت مرتبطة باستمرار بأوروبا.

ومن هنا نرى أن التاريخ الأوروبي ينظر إلى أوروبا



شاماني يقوم بأحد الطقوس

ظل الإنسان.. تتعائر سودا



د. هاني حجاج - مصر

كاتب ومترجم

... وبعد مدة من الزمان (تطول أو تقصر)، يعود الميت مرة أخرى ليقض مضاجع الأحياء" هكذا كانت التصرفات الغريبة في أماكن مثل جبال "الهيمالايا" وبين قبائل "الليبو" و"الشربا" تعزى جميعاً إلى عالم خاص، عالم مجهول شديد الغموض.

الميت العائد حسبما يؤمن القوم في شعب "الليبو"، هو الإنسان عندما يموت ميته الطبيعية، فإن "الشاماني" (الذي يؤدي شعائر الدفن) يذهب في صحبة هذا الميت إلى العالم الآخر... ويعتقد أهل "الليبو" أن هذا العالم يقع إلى الغرب من عالمهم إلى جانب الشمس والقمر، وبالرغم من هذا فإن ضوءهما لا يخفي هذا العالم، بل إن ضوءهما يسطع خافتاً إلى جواره...

وفي نهاية رحلته يصل "الشاماني" بالميت إلى منطقة البحيرات، ليغرقه في بحر الدموع، الذي يمتد وراءه أول حد لقرية الموت، وهناك ينادي على الأسلاف البادية ظلالم على الصفة الأخرى، و... ويطلب منهم أن يعتنوا به... وفي هذه الأثناء، تتعلق به بعض الأرواح، وتصاحبه إلى عالم الأحياء... عالمنا.

على أي حال فإن هذه الطقوس ليست سرية تماماً بالنسبة للأحياء هناك، إذ إن هذه الشعائر تؤدي أمام أهل القرية الذين يتجمعون في منزل الفقيد.

ويعيش كل سكان القرية في منازل صغيرة، ويقدم حديثو الموت في مساكن تشبه مساكن "الليبو" هذه الأيام، أما الموتى منذ مدة طويلة فإنهم (بطبيعة الحال) يعيشون في منزل كبير نسبياً.

وفي المقابلات التي توالى إجرائها مع شيوخ القبيلة

هناك وأشهرهم "تاراييه" الذي ادعى أنه قد بلغ قرية الموتى هذه في عالم الأحياء، وإمعاناً في تصديق ما يقول يروي الحلم بتفاصيله الدقيقة، فيقول: «إن الموتى هناك يلبسون عمامة ورداء من القماش زاهي اللون، أما الحقول فسوداء اللون تماماً!!» وبالطبع، فإن هذه الأقوال تضاربت إلى حد كبير في كل شيء.

فلماذا يعود هؤلاء الموتى لتتغص حياة الأحياء؟

لعل تفسير هذا يمكن في كون بعض هؤلاء الموتى لا يستطيعون بلوغ قرية الموتى هذه إطلاقاً وإنما يبقى معلقاً في رحلة الـ "ما بعد" الذي لا يستطيعون استكمالها إلى قرية الموتى...

في "ليبانج" ظهرت إحدى الحالات، وذلك عند ما نسي أهل الدار قطة داخل الدار التي أغلقت في ليلة التهجد على جثمان الجدة المتوفاة، هذه القطة راحت تتمسح في الجسد المسجي، فعلت هذه القطة نجست الجسد المتوفى، مما جعل هذه الجدة لا تصل أبداً إلى مرحلة الأسلاف، ونادراً ما تحدث مثل هذه الحالات، فقد جرت العادة أن الميت يصل إلى منتهاه في قرية الموتى، وذلك بفضل الأحياء الذين يوفون بالعهد دائماً.

الشاماني في زعم البدائيين هو كالعرفاء أو الطبيب، إلا أن الفارق هنا أن دور الشاماني يبدأ بعد أن يموت المريض أو الشخص المعني بالعناية، والنشاط الشعائري ليس هو النشاط الوحيد الذي يمارسه الشاماني، فهو يتاجر بخدماته في التطبيب ليكسب قوته كأي فرد في المجتمع، وفي الحقيقة فإن معايير التقاليد هناك تتطلب ألا يطمح الشاماني في الربحية طالما أن روحه الحارسة تطالبه بأن

يكون زاهداً، أما بالنسبة لمركز الشاماني الاجتماعي فقد انحط على مرور الزمن خصوصاً بعد اعتناق الإسلام. والشاماني مثل العديد من المهنة يمكن أن يكون رجلاً أو امرأة، فالشامانيون في شعوب الأوزبك والتادجيك يغلب عليهم أن يكونوا من النساء، وبالنسبة للقوزاقيين، والتركمانيين، والقرغيز، والكاركلباك، والأوكر فيغلب عليهم أن يكونوا رجالاً، ومرة أخرى فإن دخول الإسلام - الذي حد من انتشار النشاط الاجتماعي للشامانية هو الذي أدى إلى أن يقتصر النشاط الشاماني تقريباً إلى محيط المرأة.

أما الأدوات التي يستخدمها الشاماني، فإنه يرتدي ثياباً بيضاء غالباً (على الأقل أثناء تأدية الشعائر) وبعض الشامانيين الرجال يحيون ارتداء أزياء النساء (وهذه العادة كانت منتشرة في واحة خوارزم ووادي فيرجانا)، ويمكن تفسير عادة التخث في الثياب هذه (التي يعود تاريخها إلى الحقبة السقراطية) بالمعتقد القديم الذي كان سائداً في آسيا الوسطى بأن الروح الحارسة للشاماني كانت أنثى في الأصل، لهذا فإنها تحب أن ترى نفسها وهي محتواة في الشاماني (في المظهر الخارجي على الأقل)، هذه الفكرة يعارضها باحثون مثل "بوجوراس" و"سترانبرج" الذي يعتقد بوجود علاقة جنسية بين الشاماني وروحه الحارسة.

والشاماني يحتاج في عمله إلى آلة موسيقية، إنها آلة تشبه الطبل، تخترق جلدتها فتحات صغيرة لاستقبال الأرواح التي يستدعيها الشاماني أثناء أداء الشعيرة. ويستخدم الشاماني أداة تشبه السوط يستخدمها في طرد الأرواح التي سبب أذى للمكابدين، أما العصا والخيزرانة التي كان يستخدمها الشاماني من قبل فلم يعد يستخدمها إلا الدراويش.

ومع شعائر معينة يستخدم الشاماني مرآة، ودلوا ممثلي بالماء، كما أنه يستخدم في بعض الأحيان - كنتيجة لتأثير الإسلام - المسابح وكتب الصلوات (التي لا تقرأ، بل ولعلها لا تفتح من الأصل في أغلب الأحوال).

والشاماني يقيم مذبحاً صغيراً يحتفظ فيه بأدواته والأطعمة التي يقدمها إلى الأرواح، ولذلك يحجز منطقة شديدة الخصوصية في حالة طهارة شعائرية وذلك كي تستخدمها الأرواح التي يعتقدون إنها ترتبط بمصير عائلته الشاماني.

وعمليات الرصد البحثية تجد أن جلسة تحضير الأرواح الشاماني معني واضعاً بالنسبة للمشاركين فيها، لأنها تمثل رحلة الشاماني إلى العوالم الأخرى بحثاً عن روح المكابد، أو زيارة روح يتوقعون منها المساعدة، أو في البحث عن روح شريرة والمحاولة في التخلص منها. والمعلومات المتاحة الآن تؤكد وجود حاجات اجتماعية

هذه الطقوس ليست سرية تماماً بالنسبة للأحياء هناك، إذ إن هذه الشعائر تؤدي أمام أهل القرية الذين يتجمعون في منزل الفقيد.

الشاماني في زعم البدائيين هو كالعرفاء أو الطبيب، إلا أن الفارق هنا أن دور الشاماني يبدأ بعد أن يموت المريض أو الشخص المعني بالعناية، والنشاط الشعائري ليس هو النشاط الوحيد الذي يمارسه الشاماني، فهو يتاجر بخدماته في التطبيب ليكسب قوته كأي فرد في المجتمع.



الشاماني ليس إلا وارثاً لتركة من الأمراض العصبية الهستيرية كالصرع

والألعاب السحرية بغرض تهئية الحاضرين، وتبدأ الأرواح في الكلام من خلال الشاماني، وأيضاً تجري حواراً مع المشاهدين وتلقي بعض التنبؤات بالمستقبل، ثم تبدأ الروح بتعريف نفسها للحضور (من خلال صوت الشاماني الرخيم)، ويضع الشاماني في أثناء هذه الجلسة غطاء الرأس المعروف باسم "السيميدي"، وهو أشبه بـ(الطرحة) التي تغطي وجه العروس، وهذا يعني انفصاله عن العالم، وتحوله في تلك اللحظة إلى بلورة شفاقة جاهزة لاستقبال كل ما تبثه الروح التي تتقمص جسده، وفي نهاية الجلسة يرفع هذه الطرحة ويبدأ في العودة إلى حالته الطبيعية.

وكان الملفت للنظر بشكل مثير في خلال هذه الجلسات هو تكرار العديد من الكلمات والتعبيرات الروسية الأصل مثل (الطبيعة السرمدية لجواز المرور بين العوالم - الرفيق الموثوق به - آلاف من الرجال الروس، مصدر كل الآلات الثقة في محركات القوارب)، الأمر الذي يفتح الباب أمام الباحثين للعديد من الاحتمالات.

على أية حال فإن الحدود التي توضع معالم المجازات والتصورات الذهنية عن موضوع الشامانية دائماً تميز مجالاً تثار فيه تساؤلات معينة لا بد من الإجابة عليها من خلال طريقة معرفية، يصبح فيها ما يقبله العقل واقعاً في نطاق الحقيقة، ومن ثم فإن أنشطة الشاماني لا بد أن تربط العقل بالواقع الاجتماعي والانثروبولوجي وأيضاً السياسي، فهو مع انتشاره يعد موضوعاً معرفياً وأخلاقياً في الوقت نفسه.

والألعاب السحرية بغرض تهئية الحاضرين، وتبدأ الأرواح في الكلام من خلال الشاماني، وأيضاً تجري حواراً مع المشاهدين وتلقي بعض التنبؤات بالمستقبل، ثم تبدأ الروح بتعريف نفسها للحضور (من خلال صوت الشاماني الرخيم)، ويضع الشاماني في أثناء هذه الجلسة غطاء الرأس المعروف باسم "السيميدي"، وهو أشبه بـ(الطرحة) التي تغطي وجه العروس، وهذا يعني انفصاله عن العالم، وتحوله في تلك اللحظة إلى بلورة شفاقة جاهزة لاستقبال كل ما تبثه الروح التي تتقمص جسده، وفي نهاية الجلسة يرفع هذه الطرحة ويبدأ في العودة إلى حالته الطبيعية.

وكان الملفت للنظر بشكل مثير في خلال هذه الجلسات هو تكرار العديد من الكلمات والتعبيرات الروسية الأصل مثل (الطبيعة السرمدية لجواز المرور بين العوالم - الرفيق الموثوق به - آلاف من الرجال الروس، مصدر كل الآلات الثقة في محركات القوارب)، الأمر الذي يفتح الباب أمام الباحثين للعديد من الاحتمالات.

على أية حال فإن الحدود التي توضع معالم المجازات والتصورات الذهنية عن موضوع الشامانية دائماً تميز مجالاً تثار فيه تساؤلات معينة لا بد من الإجابة عليها من خلال طريقة معرفية، يصبح فيها ما يقبله العقل واقعاً في نطاق الحقيقة، ومن ثم فإن أنشطة الشاماني لا بد أن تربط العقل بالواقع الاجتماعي والانثروبولوجي وأيضاً السياسي، فهو مع انتشاره يعد موضوعاً معرفياً وأخلاقياً في الوقت نفسه.

والألعاب السحرية بغرض تهئية الحاضرين، وتبدأ الأرواح في الكلام من خلال الشاماني، وأيضاً تجري حواراً مع المشاهدين وتلقي بعض التنبؤات بالمستقبل، ثم تبدأ الروح بتعريف نفسها للحضور (من خلال صوت الشاماني الرخيم)، ويضع الشاماني في أثناء هذه الجلسة غطاء الرأس المعروف باسم "السيميدي"، وهو أشبه بـ(الطرحة) التي تغطي وجه العروس، وهذا يعني انفصاله عن العالم، وتحوله في تلك اللحظة إلى بلورة شفاقة جاهزة لاستقبال كل ما تبثه الروح التي تتقمص جسده، وفي نهاية الجلسة يرفع هذه الطرحة ويبدأ في العودة إلى حالته الطبيعية.

وكان الملفت للنظر بشكل مثير في خلال هذه الجلسات هو تكرار العديد من الكلمات والتعبيرات الروسية الأصل مثل (الطبيعة السرمدية لجواز المرور بين العوالم - الرفيق الموثوق به - آلاف من الرجال الروس، مصدر كل الآلات الثقة في محركات القوارب)، الأمر الذي يفتح الباب أمام الباحثين للعديد من الاحتمالات.

على أية حال فإن الحدود التي توضع معالم المجازات والتصورات الذهنية عن موضوع الشامانية دائماً تميز مجالاً تثار فيه تساؤلات معينة لا بد من الإجابة عليها من خلال طريقة معرفية، يصبح فيها ما يقبله العقل واقعاً في نطاق الحقيقة، ومن ثم فإن أنشطة الشاماني لا بد أن تربط العقل بالواقع الاجتماعي والانثروبولوجي وأيضاً السياسي، فهو مع انتشاره يعد موضوعاً معرفياً وأخلاقياً في الوقت نفسه.

والألعاب السحرية بغرض تهئية الحاضرين، وتبدأ الأرواح في الكلام من خلال الشاماني، وأيضاً تجري حواراً مع المشاهدين وتلقي بعض التنبؤات بالمستقبل، ثم تبدأ الروح بتعريف نفسها للحضور (من خلال صوت الشاماني الرخيم)، ويضع الشاماني في أثناء هذه الجلسة غطاء الرأس المعروف باسم "السيميدي"، وهو أشبه بـ(الطرحة) التي تغطي وجه العروس، وهذا يعني انفصاله عن العالم، وتحوله في تلك اللحظة إلى بلورة شفاقة جاهزة لاستقبال كل ما تبثه الروح التي تتقمص جسده، وفي نهاية الجلسة يرفع هذه الطرحة ويبدأ في العودة إلى حالته الطبيعية.

وكان الملفت للنظر بشكل مثير في خلال هذه الجلسات هو تكرار العديد من الكلمات والتعبيرات الروسية الأصل مثل (الطبيعة السرمدية لجواز المرور بين العوالم - الرفيق الموثوق به - آلاف من الرجال الروس، مصدر كل الآلات الثقة في محركات القوارب)، الأمر الذي يفتح الباب أمام الباحثين للعديد من الاحتمالات.

على أية حال فإن الحدود التي توضع معالم المجازات والتصورات الذهنية عن موضوع الشامانية دائماً تميز مجالاً تثار فيه تساؤلات معينة لا بد من الإجابة عليها من خلال طريقة معرفية، يصبح فيها ما يقبله العقل واقعاً في نطاق الحقيقة، ومن ثم فإن أنشطة الشاماني لا بد أن تربط العقل بالواقع الاجتماعي والانثروبولوجي وأيضاً السياسي، فهو مع انتشاره يعد موضوعاً معرفياً وأخلاقياً في الوقت نفسه.

والألعاب السحرية بغرض تهئية الحاضرين، وتبدأ الأرواح في الكلام من خلال الشاماني، وأيضاً تجري حواراً مع المشاهدين وتلقي بعض التنبؤات بالمستقبل، ثم تبدأ الروح بتعريف نفسها للحضور (من خلال صوت الشاماني الرخيم)، ويضع الشاماني في أثناء هذه الجلسة غطاء الرأس المعروف باسم "السيميدي"، وهو أشبه بـ(الطرحة) التي تغطي وجه العروس، وهذا يعني انفصاله عن العالم، وتحوله في تلك اللحظة إلى بلورة شفاقة جاهزة لاستقبال كل ما تبثه الروح التي تتقمص جسده، وفي نهاية الجلسة يرفع هذه الطرحة ويبدأ في العودة إلى حالته الطبيعية.

وكان الملفت للنظر بشكل مثير في خلال هذه الجلسات هو تكرار العديد من الكلمات والتعبيرات الروسية الأصل مثل (الطبيعة السرمدية لجواز المرور بين العوالم - الرفيق الموثوق به - آلاف من الرجال الروس، مصدر كل الآلات الثقة في محركات القوارب)، الأمر الذي يفتح الباب أمام الباحثين للعديد من الاحتمالات.

على أية حال فإن الحدود التي توضع معالم المجازات والتصورات الذهنية عن موضوع الشامانية دائماً تميز مجالاً تثار فيه تساؤلات معينة لا بد من الإجابة عليها من خلال طريقة معرفية، يصبح فيها ما يقبله العقل واقعاً في نطاق الحقيقة، ومن ثم فإن أنشطة الشاماني لا بد أن تربط العقل بالواقع الاجتماعي والانثروبولوجي وأيضاً السياسي، فهو مع انتشاره يعد موضوعاً معرفياً وأخلاقياً في الوقت نفسه.

والألعاب السحرية بغرض تهئية الحاضرين، وتبدأ الأرواح في الكلام من خلال الشاماني، وأيضاً تجري حواراً مع المشاهدين وتلقي بعض التنبؤات بالمستقبل، ثم تبدأ الروح بتعريف نفسها للحضور (من خلال صوت الشاماني الرخيم)، ويضع الشاماني في أثناء هذه الجلسة غطاء الرأس المعروف باسم "السيميدي"، وهو أشبه بـ(الطرحة) التي تغطي وجه العروس، وهذا يعني انفصاله عن العالم، وتحوله في تلك اللحظة إلى بلورة شفاقة جاهزة لاستقبال كل ما تبثه الروح التي تتقمص جسده، وفي نهاية الجلسة يرفع هذه الطرحة ويبدأ في العودة إلى حالته الطبيعية.

وكان الملفت للنظر بشكل مثير في خلال هذه الجلسات هو تكرار العديد من الكلمات والتعبيرات الروسية الأصل مثل (الطبيعة السرمدية لجواز المرور بين العوالم - الرفيق الموثوق به - آلاف من الرجال الروس، مصدر كل الآلات الثقة في محركات القوارب)، الأمر الذي يفتح الباب أمام الباحثين للعديد من الاحتمالات.

على أية حال فإن الحدود التي توضع معالم المجازات والتصورات الذهنية عن موضوع الشامانية دائماً تميز مجالاً تثار فيه تساؤلات معينة لا بد من الإجابة عليها من خلال طريقة معرفية، يصبح فيها ما يقبله العقل واقعاً في نطاق الحقيقة، ومن ثم فإن أنشطة الشاماني لا بد أن تربط العقل بالواقع الاجتماعي والانثروبولوجي وأيضاً السياسي، فهو مع انتشاره يعد موضوعاً معرفياً وأخلاقياً في الوقت نفسه.

والألعاب السحرية بغرض تهئية الحاضرين، وتبدأ الأرواح في الكلام من خلال الشاماني، وأيضاً تجري حواراً مع المشاهدين وتلقي بعض التنبؤات بالمستقبل، ثم تبدأ الروح بتعريف نفسها للحضور (من خلال صوت الشاماني الرخيم)، ويضع الشاماني في أثناء هذه الجلسة غطاء الرأس المعروف باسم "السيميدي"، وهو أشبه بـ(الطرحة) التي تغطي وجه العروس، وهذا يعني انفصاله عن العالم، وتحوله في تلك اللحظة إلى بلورة شفاقة جاهزة لاستقبال كل ما تبثه الروح التي تتقمص جسده، وفي نهاية الجلسة يرفع هذه الطرحة ويبدأ في العودة إلى حالته الطبيعية.

وكان الملفت للنظر بشكل مثير في خلال هذه الجلسات هو تكرار العديد من الكلمات والتعبيرات الروسية الأصل مثل (الطبيعة السرمدية لجواز المرور بين العوالم - الرفيق الموثوق به - آلاف من الرجال الروس، مصدر كل الآلات الثقة في محركات القوارب)، الأمر الذي يفتح الباب أمام الباحثين للعديد من الاحتمالات.

على أية حال فإن الحدود التي توضع معالم المجازات والتصورات الذهنية عن موضوع الشامانية دائماً تميز مجالاً تثار فيه تساؤلات معينة لا بد من الإجابة عليها من خلال طريقة معرفية، يصبح فيها ما يقبله العقل واقعاً في نطاق الحقيقة، ومن ثم فإن أنشطة الشاماني لا بد أن تربط العقل بالواقع الاجتماعي والانثروبولوجي وأيضاً السياسي، فهو مع انتشاره يعد موضوعاً معرفياً وأخلاقياً في الوقت نفسه.

البداية البحثية الحقيقية لمحاولة إثبات أن كل هذا هو محض هراء، فكانت عندما بدأ "تايلور" (1871) يؤكد أن الشاماني ليس إلا وارثاً لتركة من الأمراض العصبية الهستيرية كالصرع

عندما بدأ العرافون والمعالجون يحلون محلهم، والانتشار الشعبي هنا ليس بالضرورة في صالح الشاماني، لأن العرافين والمطبيين يجرؤون بدورهم مراسم احتفال تشبه بدورها طقوس الشاماني. ومثله فإنهم يحاولون الاتصال بالأرواح.

أما البداية البحثية الحقيقية لمحاولة إثبات أن كل هذا هو محض هراء، فكانت عندما بدأ "تايلور" (1871) يؤكد أن الشاماني ليس إلا وارثاً لتركة من الأمراض العصبية الهستيرية كالصرع، وقد سارع كثير من الباحثين الروس (ومنهم خاروزين وميخائيلوفيسكي وأتوكسين وبوتانين وكاجاروف وكسينوتوف وغيرهم) إلى متابعة هذه الدعوى، كما استمر البعض منهم (فينشتاين والكشيف وميخائيلون وسيميتشوف) في دعم هذا الجدل وتأييد، حتى بالرغم من أنه قد ثبت بالفعل خطؤه بعد تفتيده منذ زمن طويل.

واعتماداً على المعلومات التي جمعت من منطقة وسط آسيا، يعد حامل الأرواح التي يتم التحرر منها من خلال الممارسات الشامانية محملاً بالعلل والأسقام، والحقيقة أن هذا المرض يعد أمراً لا بد منها منه، ويرى فيه الأوزيك والقرغيز عرفاناً بالجميل وعلامة على رضا الأرواح، وحتى وإن كان واضحاً بالنسبة للجميع أنه يتم استدعاء الشاماني لكي يتأكد من التشخيص الصحيح، ويعتقدون أن الأرواح لا بد وأن تحمل الشاماني الصغير إلى العالم السفلي وأن سبب المرض يكمن في كونه تخفيه هناك في خلال أغصان شجرة الحياة، وأن توفر له القوة وأن تحيطه بالرعاية والحنان بغرض إعادة خلق هذا الشخص المختار.

إنها تقطع جسمه إرباً وتطهوه، حتى تستطيع أن تأكل اللحم، ثم إنها بعد ذلك تقوم بتلفيق أعضاء معينة من الجسد مع بعضها البعض، وذلك قبل أن ترده إلى الحياة مرة أخرى.

ويحدثنا "رادولف" (1893) عن شامانية من الأوزيك اسمها "أوتشيل" من منطقة "سمرقند"، هذه المرأة كانت روحها الحارسة (حسب أقوال رجل عجوز صالح هناك) أنها كانت لرجل تقي أمراً أن تصبح شامانية حتى تقذف البشر، لقد جنت هذه المرأة وصار سلوكها مثيراً للخرق والعار، حتى بلغ بها الأمر إلى حد إلقاء ابنها من سطح الدار، حتى طفق الكليل بزوجها فقيد يديها ورجليها وحبسها في غرفتها.

ويقول القوم: إن تلك المرأة التي حبسها زوجها في الدار

معينة كانت السبب في ظهور الشامانية، وليس على خصائص نفسية معينة لعدد محدود من الأفراد، واختيار المرشحين محدود بصفات معينة، مثل أن يعرف كيف يغني؟ وكيف يدق على الطبل؟ وأن يملك كامل السيطرة على جسده، وأن يتسم بالحساسية وخفة اليد وثقة زائدة بقدراته الخاصة وأن يكون متأكداً من مساندة الروح الحارسة له قبل أن يضع هذه القدرات موضع الاستخدام. والشاماني يبدأ مهمته بالسقوط في غيبوبة هي أقرب إلى حالات الهياج، نوبات التشنج يعتقدون أنها تطور طبيعي ومنطقي من إملاء الروح الحارسة، ثم يبدأ ابتهالاته الشامانية، وهي مزيج عجيب من الموسيقي والشعر والمقامات، ويؤمن الأوزيك أن موهبة الشاماني الفنائية هي من تأثير الأرواح، وأن منشد الشعر الملحي "ماناس" هو الذي يعلمه هذا الفن في الأحلام.

ولا ينبغي النظر إلى النجاح الغير عادي للشامانية المدنية على أنه أمر محدود بدوره الطبي، كما يقول الباحث "جان بييرشوميل"، فمن الواضح أن الشامانية: قد أصبحت الآن جزءاً من الحياة السياسية لمعظم دول أمريكا اللاتينية، فالعديد من المرشحين للوظائف المهمة يتقدمون ويفوزون بها (جزئياً على الأقل) على أساس أنهم على علاقة (حقيقية أو غير حقيقية) بالشاماني المعروفين.

ففي مايو 1991 دعي "البرتو فوجيموري" رئيس بيرو شخصياً إلى "ليما" المعالج البرازيلي الشهير لعلاج "فوجيموري" من كسر كان مؤلماً للغاية، وقد امتلأ إستاند "ليما" الكبير بعشرات الآلاف من المرض الذين جاءوا للعلاج بجانب رئيسهم، وعلى الرغم من أن معجزات البرازيلي كانت محبطة إلا أن خزائنه كانت تحوي معجزات أخرى: إذ إن تمثالين من تماثيل العذراء في ميناء "كالو" بالقرب من "ليما"، بدأ في البكاء وبعدها كان آلاف المؤمنين المحبطين من صانع المعجزات البرازيلي قد اندفعوا ليتجمعوا أمام التمثالين الباكين، وكان من بينهم الرئيس "فوجيموري"، وقد اعترف فيما بعد بأنه طلب من العذراء المساعدة في إعطاء الأمل للشعب.

وإن أكثر الكلمات شيوعاً في الاستخدام لتسمية الشامانية قد اشتقت في الأصل من المصطلح التركي (كام kam)، حيث تدين أشكال الشامانية في وسط آسيا في ما يتعلق بتجانسها النسبي إلى تقليد عام مشترك وإلى تأثيرات الديانة الإسلامية، التي تتميز في اتجاهين واضحين يتوافقن مع مجموعتين عرقيتين تسكنان هذه المنطقة، المجموعة الأولى تتحدث التركية، والأخرى تتكلم الإيرانية.

والواجبات التي يشترك فيها كافة الشامانيين في منطقة وسط آسيا هي تشخيص أسباب المرض وعلاجها، البحث عن الأشخاص المفقودين، الكشف عن الأشياء المسروقة، وهذه الواجبات التي يقومون بها قد تقلصت إلى حد كبير